

رجاء بن حيوة

عالم مسلم غير نظام الحكم الأموي في دمشق

نسابه

■ هو أبو المقدم - ويقال أبو نصر - رجاء بن حيوة بن جرول - أو جندل - بن الأحنف بن السمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية ، الكندي الفلسطيني - ويقال الأردني - الشامي ، شيخ أهل الشام ، وكبير الدولة الأموية^(١) .

كان والده حيوة مع المجاهدين في بلاد الشام ، وقد قابل رجاء - مع والده - معاذ بن جبل رضي الله عنه . فقد أخرج أبو القاسم وابن زنجويه عن رجاء بن حيوة قال : كنا ذات يوم أنا وأبي جميعاً : فقال معاذ بن جبل : من هذا يا حياة ؟ قال : هذا ابني رجاء . قال معاذ : فهل علمته القرآن ؟ قال : لا .. قال : فعلمه ... ثم ضرب بيده على كتفي وقال : يا بني : إن استطعت أن تكسو أبوك حلتين يوم القيامة فأفعل ! قال : فما حالت علي السنة حتى تعلمت القرآن^(٢) !!! ■

نشأته ...

نشأ حياته الأولى في بيسان بفلسطين ، حيث شب فيها وترعرع^(٣) ، ثم صار ينتقل في مدن فلسطين والأردن والشام . يقابل فيها العلماء والعباد والزهاد ، ويتلقى عنهم العلم . ويقتدي بهم في عبادته وزهده . فانتقل بلغتهم ولحظهم وسلوكهم .

ولذلك نشأ حياة إسلامية صافية صادقة ، واكتسبت عيناه بالقرآن الكريم منذ صغره . وذاق لذة العبادة وحلاوة الإيمان من صباه . ويعتبر من سادات التابعين ، وأعتبره الذهبي في الطبقة الرابعة من الحفاظ^(٤) .

شيوخه ...

روى رجاء عن مجموعة من الصحابة الكرام ، ممن قدموا الشام واستوطنوها . منهم : معاوية بن أبي سفيان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، ومحمود بن الربيع ، وأبو الدرداء ، وأبو أمامة الباهلي ، وعبادة بن الصامت ، وعدي بن عبد الرحمن بن غنم ، والناس بن سمعان ، وأبو سعيد الخدري ، والنسور بن مخزوم ، وجابر بن عبد الله ، وغيرهم .. رضي الله عنهم أجمعين^(٥) .

تلاميذه ...

روى عن رجاء بن حيوة مجموعة من تلاميذه ، منهم : ابنه عاصم ، وعدي بن عدي بن عميرة ، وابن عجلان ، وابن عون ، وثور بن يزيد ، ومطر الوراق ، ومحمد بن شهاب الزهري ، ومحمد بن جعدة ، وحמיד الطويل ، ومحمول ، وقناة ، وغيرهم^(٦) رضي الله عنهم أجمعين .

توثيقه ...

أجمع العلماء على توثيقه ، ووصفه بالعدالة والثقة والضبط ، وقبول أحاديثه ، وقد روى له البخاري ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي وابن ماجه ، رحمهم الله جميعاً^(٧) .

صلته بالخلفاء الأمويين ..

قلنا : إن رجاء شب وترعرع في بيسان ، ثم تجول في مدن بلاد الشام ، فذهب إلى القدس ، ثم استوطن الأردن ، وكان يتردد على دمشق العاصمة ، ويمكث فيها فترات متباعدة ، كما أنه ذهب إلى الكوفة مع بشر بن مروان^(٨) شقيق الخليفة عبد الملك بن مروان .

وقد كان رجاء بن حيوة وثيق الصلة بالخلفاء الأمويين ، فقد وصفه أبو نعيم في الحلية بأنه « مشير الخلفاء والأمرء »^(٩) . ووصفه المؤرخ الذهبي في تذكرة الحفاظ بأنه « شيخ أهل الشام ، وكبير الدولة الأموية »^(١٠) .

لم تكن صلته بالخلفاء طمعاً فيما عندهم ، فإن عبادته وزهده وقناعاته ، تآبى عليه هذا . ولم تكن علاقته معهم ركوناً إليهم ، فإن إيمانه وعقيدته تآبى عليه هذا . كما أن قربه منهم لم يكن عوناً لهم على ظلمهم لأن خوفه من الله ، يآبى عليه هذا .

لقد كان رجاء بن حيوة إماماً مسلحاً ، وعاملاً عاملاً ، وداعية ربانياً ، وقد كانت رسالته هي الدعوة والتبليغ والإصلاح والتوجيه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونصرة المظلومين ، ومساعدة المحتاجين .

وقد أداء اجتهاده إلى أنه باتصاله بالخلفاء الأمويين ، وقربه منهم ، يكون أقدر على أداء رسالته ، والقيام بمهمته ، فهو يرشدكم ويوضحهم ، وهو يحاول بقدر استطاعته أن يرفع الظلم عن المظلومين ، وهو - بقربه منهم - يكون أقدر على رفع حوائج المحتاجين من الضعفاء الذين لا يجدون من يرفع هذه الحوائج والمظالم والشكاوى ؛ وقد كان في الخلفاء الأمويين - عبد الملك بن مروان وأولاده - بقية من خير ،

وتقدير العلماء، وسماع نصائحهم ومواعظهم

قال ابن الجوزي في صفة الصفوة : « كان يصحب الخلفاء ، ويامرهم بالمعروف . فلما مات عمر بن عبد العزيز انقطع عن صحبتهم »^(١) .

وروي رجاء نفسه ، حادثة غريبة جرت معه ، تبين تصوره لصلته بالخلفاء الأمويين . قال : « كنت واقفاً على باب سليمان بن عبد الملك ، فأتاني رجل ، لم أراه قبل ولا بعد . فقال : يا رجاء : إنك قد ابتليت بهذا ، وابتلي بك [الخليفة ..] وفي دنوك منه الوقع [الهلاك] . يا رجاء : عليك بالمعروف ، وعون الضعيف ، يا رجاء : من كانت له منزلة من سلطان فرجع حاجة ضعيف لا يستطيع رفعها ، ثبت الله قدمه على الصراط »^(٢) .

وقد كان عند الخليفة عبد الملك بن مروان ذات يوم ، وذكر شخص لعبد الملك رجلاً بسوء . فقال عبد الملك : « والله إن مكنتي الله منه لأفعلن به واصنعن ! فلما أمكنه الله منه هم بإبلاق الفعل به ، فقام إليه رجاء بن حيوة ، وقال له : يا أمير المؤمنين قد صنع لك ما أحببت ، فأصع ما يجب الله من العفو ، فعفا عنه وأحسن إليه »^(٣) .

وكان وثيق الصلة بالوليد بن عبد الملك ، ويبدو أنه كان له القضاء فقرة من الوقت . فقد قال الحكم : « إنه كان قاضياً »^(٤) .

ويبدو أنه لم يمكث طويلاً في منصب القضاء ، ولم يل القضاء لغير الوليد ، فلما استخلف سليمان بن عبد الملك - بعد شقيقه الوليد - لم يكن رجاء قاضياً ، وإنما كان مستشاراً يشير بتعيين القضاة ؛ وكان قد عزم عن القضاء ورغب عنه ، تخرجاً وخوفاً من الله ، وقد صمم على أن لا يلي هذا المنصب ولو أدى إلى قتله وموته .

قال العلاء بن روية : كانت لي حاجة إلى رجاء بن حيوة ، فسلطت عنه ، فقالوا : هو عند سليمان بن عبد الملك . قال : فلفقيته ، فقال لي : ولئى أمير المؤمنين اليوم ابن موهب القضاء ، ولو خبرت بين أن ألي ، وبين أن أحل إلى حفرتي ، لا اخترت أن أحل إلى حفرتي .

قلت : إن الناس يقولون : إنك انت الذي اشترت به ؟ قال : صدقوا ، إن نظرت للعامة ولم أنظر له »^(٥) .

رجاء عند سليمان بن عبد الملك

كان رجاء وثيق الصلة بسليمان بن عبد الملك - على ما وصفه ابن الجوزي - وكان مستشاراً له ، يشير بتعيين القضاة وغيرهم ، وكان راداه في ما يشير به هو مصلحة المسلمين ، وهذه إرضاء

الله ، فاستغل هذه الكانة المرموقة ، والمنزلة الرفيعة أحسن استغلال ، واستخدمها لصالح المسلمين لا لمصلحته الشخصية ، وقد نجحت صلته بسليمان في تغيير نظام الحكم الأموي ، حيث خطط - بنجاح - لهذا التغيير ، وأشرف عليه ، وأزال العقبات من أمامه ، وأخضع الأمور له مما أدى إلى استخلاف مجدد القرن الأول ، الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

دور رجاء في تغيير نظام الحكم

قلنا : إن رجاء كان مستشاراً لسليمان واستغل قربه من الخليفة ، في مصلحة المسلمين ، ولذلك سئل الله له أن يقوم بدور عظيم - ناجح في إعادة نظام الحكم إلى سبته الإسلامي الشوري العادل ، وأعانه على تحقيق ما أراد ، وجاء بعمر بن عبد العزيز خليفة للمسلمين .

وذلك أن سليمان بن عبد الملك - وهو على فراش الموت - استشار رجاء في الخليفة من بعده ! وأتى لرجاء أن يشير بمن ليس أملاً !! لقد اعتبرها فرصة سانحة ، ليحقق أمالاً وطموحات طاملاً راودت خياله وخیال الصالحين المصلحين من المسلمين ، الذين لم يروا الخروج المسلح على الحكام الأمويين ، لما فيه من مفساد كثيرة ، ولم يرضوا بمخالفاتهم وتجاوزاتهم وظلمهم ، ولم يملكون وسيلة سلمية - بيضاء - يحققون بها ما يريدون ، أما الآن فقد جاءت الظروف المناسبة ، فلماذا لا يستغلها رجاء ؟ ولماذا لا يغتتم هذه الفرصة ؟ ويحقق - ولو مرة واحدة - حلماً من أحلام المسلمين ، وأملاً من آمال المصلحين .

قال رجاء : لما نزل سليمان (من شددة المرض) عهد في كتاب كتبه لبعض بنييه ، وهو غلام لم يبلغ ! فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ؟ إنه مما يحفظ الخليفة في قبره ان يستخلف على المسلمين الرجل الصالح !! فقال سليمان : أنا استخرف الله وانظر فيه ، ولم اعزم عليه .

فمك يوماً أو يومين ، ثم خرقة . فدعاني ، فقال : ما ترى في داود بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب عنك بالقسطنطينية ، وأنت لا تدري أي هو أم ميت ! فقال لي : فمن ترى ؟ قلت : رايبك يا أمير المؤمنين . وإنما أريد أن انظر من يذكر .

[وهذا من ذكائه وفطنته ، وحسن تخطيطه حتى لا يكون متهماً عند سليمان بأن له مصلحة شخصية ، أو مؤامرة على الخليفة] . قال : كيف ترى عمر بن عبد العزيز ؟ قلت : اعلمه - والله - خيراً فضلاً مسلماً . فقال : هو والله كذلك .

وكان رأي سليمان أن يولي يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز . متعاً للفتنة ، ولكي يرضوا بخلافه عمر . فلما استشار رجاء في رآيه هذا بقوله : يزيد بن عبد الملك اجعله بعده ، فإن ذلك مما يسكنهم ، ويرضون به . إجابته رجاء بقوله : رايبك !!!^(٦) .

ولقد كان رجاء محتاطاً في إبداء رأيه في استخلاف يزيد بعد عمر ، ولهذا لم ينسئله ويتدقق في تأييد فعل سليمان ، لأنه يعلم أن توليته لا تتفق مع نظام الحكم الإسلامي ، ولكنه لم يعارض هذا ، اقتناعاً منه برأي سليمان وتعليقه لفعله ، وحتى يضمن موافقة سليمان على استخلاف عمر وكتابه بهذا ، لأنه يخشى أن لم يوافق على يزيد بعد عمر ، وأن يعذل عن استخلاف عمر ، وبهذا تقوت الفرصة السانحة التي تحقق آمال المسلمين ، وكانه بموافقته يترك الأمر لعمر - بعد استخلافه - وهو يعلم بأنه لا يوافق على استخلاف يزيد ، وسيحاول - من مركز الخلافة - أن يغيره .

وهكذا فعل عمر ، حيث عزم في آخر أيامه أن ينزع يزيد . وأن يرشح للخلافة أصلح المسلمين لها - في رأيه - من خارج البيت الأموي ، وهو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، الذي كان في المدينة ، ولكن بني أمية أحسوا بهذا ، وخافوا أن يخرج الأمر من أيديهم ، ولهذا عجلوا بالقضاء على عمر ، بأن رتبوا له من وضع له السمس على طعامه ، الذي كان سبباً في موته .

بعدها اتفق على استخلاف عمر بن عبد العزيز . كتب سليمان كتاب الاستخلاف ، وخطب بني أمية - في الكتاب - قائلاً : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عبد الله سليمان ، أمير المؤمنين ، لعمر بن عبد العزيز : أتى قد وليتك الخلافة من عبيد

- صاحب الشرطة - وطلب منه أن يجمع بني أمية . ولما اجتمعوا طلب منهم أن يبايعوا لمن في الكتاب . فقالوا : قد بايعنا مرة وتبايع آخري !! قال : نعم . بايعوا من سعي في هذا الكتاب المختوم . ولما أراوا حزمه وصلابته قاموا فبايعوا للمرة الثانية رجلاً رجلاً .
قال رجاء : فلما بايعوا بعد موت سليمان ، رأيت اني قد احكمت الأمر . قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات . فقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فقام وقرا الكتاب عليهم ، ولما ذكر اسم عمر بن عبد العزيز - صرخ هشام بن عبد الملك : لا تبايعه أبداً ، وحتى لا يخرج الأمر من يد رجاء ، وحتى يتم ما بدأ به أبا هشام جواباً كله حزم وثبات : أضرب والله عنقك ام قبايع !!!

وامام حزم رجاء وتصميمه قام هشام بجر رجليه ليبايع .
وبنص الناس إلى عمر بن عبد العزيز - وهو في مؤخرة المسجد - فلما تحقق له الأمر قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . ولم تحمله رجلاه حتى أخذوا بضبعيه فاصعدوه على المنبر . فسكت حيناً . فقال رجاء مخاطباً بني أمية : ألا تقوموا إلى امر المؤمنين قبايعوه ؟ فنفض القوم قبايعوه . وجاء هشام وبايعه وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد صور رجاء - بسخرية من هشام وموقفه - سيب استرجاع عمر واسترجاع هشام ، وأنها وإن اتفقا في كلمات الاسترجاع - إنا لله وإنا إليه راجعون - إلا أن الأسباب كانت مختلفة ، بل متناقضة . قال رجاء : فلما انتهى هشام إلى عمر قال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون . حين صارت إلي (لكرامه لها) وهشام يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون حيث نحييت عني (لتهاقته عليها) !!
ولما تمت بيعة عمر . قام فخطب خطبة بليغة^(١) .

وراح رجاء يراقب فعل عمر بعد أن ولي الخلافة . ليرى هل غيرته الخلافة ، أم لا يزال على عهده . فسره كل ما صنع عمر : خطبة الخلافة ، وتركه دراب الخلافة . وعدم ذهابه إلى منزل الخلافة لأن فيه عيال سليمان وذهابه إلى خيمته . وكتابه الموجز الذي وجهه إلى ولاية الأمصار !

رجاء مع عمر بن عبد العزيز

اتخذ عمر بن عبد العزيز رجاء مستشاراً له . ووزير صدق عنده ، ورضي رجاء أن يكون بهذه

الأرض ويقول : فإني من إذن نحييت عني ؟
أخرج من بني عبد الملك^(٢) .
لقد كان رجاء يجب من هذين الأمويين .
أنموذج المؤمن الزاهد . المشفق أن يكون هو الرجل المستخلف . وأنموذج المتهاك على الدنيا . الطامع في الخلافة . الذي على أتم الاستعداد لأن يأخذها بأي وسيلة وليكن ما يكون !!

دور رجاء أثناء موت سليمان

دخل رجاء على سليمان وهو يجود بنفسه ، وبقى معه حتى فاضت روحه ، وكان آخر كلامه - كما روى رجاء - ، « الشهد ان لا إله إلا الله ، والشهد ان محمداً عبده ورسوله . »
ولما مات سليمان اغمض عينيه ، وسجاء بقطيفة خضراء . واغلق وراءه الباب وخرج . فقالت زوجة سليمان لرجاء : كيف أصبح سليمان ؟ فاجابها بحكمة وقطعة وتورية وقال : نائم وقد تغطى !! فارسلت رسولها لينظر إليه . فلما رآه مسجياً بالقطيفة أخبرها ، فقيلت ذلك وطلعت انه نائم .

وحتى لا يتكشف موت سليمان - قبل أن يكشفه رجاء ، الذي كان ينفذ خطته بذلك وحكمة ، خطوة خطوة - احضر من يثق به واجلسه على باب البيت الذي فيه سليمان . وأمره ألا يدخل على الخليفة احد^(٣) !!
وقد اعتبر العلماء استخلاف سليمان لعمر بن عبد العزيز ، حسنة عظيمة من حسناته . فقال رجاء عنه : يرحي لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وتركه ولده .
وأورد الطبري - في تاريخه - قول علي بن محمد : كان الناس يقولون : سليمان مفتاح الخير . ذهب عنهم الحجاج ، فولي سليمان ، فأطلق الأسارى ، وخلص أهل السجن ، وأحسن إلى الناس . واستخلف عمر بن عبد العزيز^(٤) .

رجاء يتمم لعمر بن عبد العزيز

بقي على رجاء آخر مرحلة من مراحل خطته ، وهي أخطر مراحلها على الإطلاق ، وكما نجح في المراحل السابقة ، نجح في المرحلة النهائية نجاحاً عجيبياً ، يدل على قوة شخصيته ، ونفوذ تأثيره ، وحزمه وصلابته .

فقد اراد أن يأخذ منهم بيعة ثانية لمن في كتاب سليمان . فإرسل إلى كعب بن حامد العبيسي

ومن بعده يزيد بن عبد الملك . فاسمعوا له وأطيعوا . واتقوا الله واتقوا الخلقوا . فيطمع فيكم عنكم ...^(٥) .
وختم سليمان الكتاب . وسلمه إلى رجاء ، ثم أرسل إلى كعب بن حامد العبيسي - صاحب الشرطة - وأمره أن يجمع له كل أمراء بني أمية . ولما اجتمعوا ، ذهب إليهم رجاء ومعهم الكتاب مختوماً ، وأخبرهم ان هذا كتاب الخليفة ، وأمرهم أن يبايعوا من فيه .

فطلبوا أن يدخلوا على الخليفة - في محاولة منهم للاستيثاق من كلام رجاء - فأنزل لهم ، ولما دخلوا على سليمان قال لهم : في هذا الكتاب - وكان بيد رجاء الذي وقف بجانبه - عهدي ، فاسمعوا وأطيعوا لمن سميت في هذا الكتاب !! فبايعوه رجلاً رجلاً ، ولما تمت البيعة خرج رجاء والكتاب بيده ، وكان في كان في حالة من السرور والانشراح لا توصف ، كيف لا وقد تم له مرحلة هامة من خطته التي يريدها !!

أنموذجان من الأمراء ..

لما تمت البيعة وقبل أن يموت سليمان ، خضع رجاء بن حوية لضغوط شديدة من الأمراء ، ليكشف أسر الخليفة القادم . ولكنه صمد بثبات عبيسي . لأنه يعلم أنه في استجابته لهم يفوت الفرصة التي بين يديه .
وقد روى لنا رجاء شيئاً من هذه الضغوط والزيارات والاتصالات الخاصة .

وكان أول الرجال اتصالاً به - بعد البيعة - عمر بن عبد العزيز الذي قال له : أخشى ان يكون هذا أسند إلي شيئاً من هذا الأمر ، فانشدك الله وحرمتي ومودتي إلا اعلمتني إن كان ذلك ، حتى استعطفه الآن ، قبل ان تأتي حال لا قدر فيها على ما قدر عليه الساعة !!
قال رجاء : لا والله ، ما انا بمخبرك حرفاً ، فذهب عمر غضبان .

ثم جاءه هشام بن عبد الملك ، يمثل الأنموذج الثاني من الأمراء - الحريصين على الخلافة - المتهاككين على الدنيا وخزائنها ، فقال له : يا رجاء . إن لي بك حرمة ومودة قديمة . وعندي شكر . فاعلمتني هذا الأمر ، فإن كان إلي علمت ، وإن كان إلي غيري تكلمت ، فما مثل قمره بن عن هذا !!

فقال رجاء : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسر إلي !!

فانصرف هشام يائساً ، وكانه أحسن بشيء من الأمر . وصار يضرب بإحدى يديه على

المُتَزَلَّةُ ، وأن يقوم بهذا العمل ، بل إنه اعتبرها فرصة العمر أن يكون عوناً لخليفة راشد ، فرح المسلمون - على جميع فئاتهم - بخلافته ، واعتبروها تحقيقاً لأمانهم .

ولرجاء مع عمر مواقف كثيرة خالدة ، ولما نشاهد عجيبة من حياة عمر ، وبرداً عظيمة من بليغ كلامه ، نورد بعضاً منها كمنادج :

استشار عمر رجاء بعدما ولي الخلافة مباشرة ، فقال له : إني قد ابتليت بهذا الوباء فأشر علي ، فاجابه بقوله : أحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، وأكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إذا شئت !!!

قال رجاء : أقومت ثياب عمر بن عبد العزيز - وهو يخطب - بالثني عشر درهماً !!!

وقال رجاء : أمرني عمر أن اشتري له ثوباً بستة دراهم ! فأتيت به ، فحسبه وقال : هو علي ما أحب لولا أن فيه ليناً !!! قال رجاء : فبيعت ! قال : فما بيك؟ قلت : أتيتك وانت أمير يقوب بستمانه درهم ، فحسسته وقلت : هو علي ما أحب لولا أن فيه خشونة ، وأتيتك وانت أمير المؤمنين يشوب بسته دراهم ، فحسسته وقلت : هو علي ما أحب لولا أن فيه ليناً !!!

فاجابه عمر - رضي الله عنه - مبيناً سر هذا الموقف العجيب ، بكلمات تعبر مغرماً مضية في الطريق إلى الله ، فقال : يا رجاء ! إن في نفسنا توافقة ، تأتت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها ! وتأتت إلى الإمارة فوليتنا !!! وتأتت إلى الخلافة فادركتها !!! وقد تأتت إلى الجنة فارجو أن أدركها إن شاء الله عز وجل !!! !!!

وقد كان رجاء لينة عند عمر ، فهم السراج أن يخذ ، فقام إليه ليصلحه ، فاقسم عليه عمر ليعتد ، وقام هو فاصلحه ، فقال له رجاء : تقوم أنت يا أمير المؤمنين ! قال : نعم وأنا عمر ، ورجعت وأنا عمر !!!

وقد مات لعمر ولد فحزن عليه كثيراً ، فقال له رجاء يعزيه : أكان ابنك يا أمير المؤمنين يخلق ؟ قال : لا .. قال : فكأن يبرق ؟ قال : لا .. قال : فما جزئك على مخلوق مرزوق ، الله خير كل منه ، وثواب الله خير كل !!!

إلا بإخلاصه له دام سخطه ، ومن عاتب إخوته على كل ذنب كثر عدوه !!!

انظر الأمر الذي تحب أن تلقى الله عليه فجد فيه الساعة ، وانظر الأمر الذي تكره أن تلقى الله عليه فدعه الساعة !!!

ما أحسن الإسلام يزيه الإيمان ، وما أحسن الإيمان يزيه التقوى ، وما أحسن التقوى يزيه العلم ، وما أحسن العلم يزيه الحلم ، وما أحسن الحلم يزيه الرفق !!!

الحلم أرفع من العقل ! لأن الله تسمى به ، كأن حريصاً على تعليم تلاميذه في كل مناسبة ، فقد ودعه رجل قائلاً : حفظك الله يا أبا المقدم ، فقال : يا ابن أخي : لا تسأل عن حفظه ، ولكن قل : يحفظ الله إيمانك !!!

وكان على خبرة بتحليل النفوس ، يعرف ما يصلحها وما يقسدها ، فقد حضر عند الخليفة سليمان بن عبد الملك ، وابنه وجود بنفسه ، وقد امتلأ قلبه حزناً وكهداً ، وصارت عيناه تترقان ، فقال له رجاء : إني لا أرى بالبعكأس بأساً ما لم يأت الأمر المرط ، وإن الرسول ﷺ بكى عندما مات ولده إبراهيم رضي الله عنه ، فبكى سليمان واشتد بكاءه حتى أوشكت نياط قلبه أن تنقطع ، فأنكر

عمر بن عبد العزيز على رجاء فعله وتوجيهه ، وقال : بشس ما صنعتت بأمير المؤمنين ! فاجابه رجاء جواباً يتفق مع التحليل النفسي الصائب : دعه يا أبا حفص يقضي من يكله وطراً ، فإنه لو لم يخرج من صدره ما ترى ، خلت أن يقضي عليه !!!

وكان رجاء حريصاً على تطبيق السنة ، فقد لقيه تلميذه مكحول ، وكان رجاء ركباً ومكحول رجلاً ، فسلم عليه مكحول ، فلم يرد رجاء عليه السلام ، لأنه كره خلاف السنة لأن الراكب هو الذي يسلم على المشي !!!

كما أن حريصاً على إخفاء الشواغل والطاعات ، ويوجه تلاميذه إلى هذا ، فقد نظر إلى رجل ينص بعد صلاة الفجر ، فقال له : أنتبه ! لا يظن الظان أن هذا النعاس على سبرك في قيام الليل !!! !!!

وفااته ...

للهجرة ، في خلافة هشام بن عبد الملك !!!

رحم الله القائد الرائد ، والداعية المصلح ، والمربي المؤثر ، والعالم الزاهد ، الذي خطط للمسيح ، بأعدل خليفة أموي راشد ، عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما .

لقد كان رجاء رحمه الله بطلاً لكن بلا طبول ، وجدانياً من جنود الفداء ، الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يلتقدوا

شوامش :

(1) تهذيب التهذيب لابن حجر ٣ : ٢٦٥ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عسكرو ٥ : ٣١٥ .

(2) تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٦ .

(3) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ .

(4) تذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ١١٨ .

(5) صفة الصفوة لابن الجوزي ٤ : ١٨٦ - ١٨٧ ، وتهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٦ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ .

(6) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ .

(7) تقريب التهذيب لابن حجر ١ : ٢٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ١١٨ .

(8) الطلقات الكبرى لابن سعد ٧ : ٤٥٤ ، وتهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٨ ، ١٣٦ .

(9) حلية الأولياء ٥ : ١٧٠ .

(١٠) تذكرة الحفاظ ١ : ١١٨ .

(١١) صفة الصفوة ٤ : ١٨٦ - ١٨٧ .

(١٢) تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٧ .

(١٣) وفيات الأعيان لابن خلكان - طبعة احمد فريد وغازي - ٣٢١ .

(١٤) تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٦ .

(١٥) حلية الأولياء ٥ : ١٧٠ - ١٧١ .

(١٦) تهذيب الرسل والملوك لابن جرير الطبري ٥٠٠ : ٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٩ : ١٨٦ - ١٨٧ .

(١٧) تاريخ الطبري ٦ : ٥٥١ ، وتاريخ ابن كثير ١٨٢ : ٩ .

(١٨) التهذيب ٦ : ٥٥٠ ، وابن كثير ٩ : ١٨٢ .

(١٩) الطبري ٥ : ٥٥١ .

(٢٠) المرجع السائق ٦ : ٥١٦ .

(٢١) المرجع السائق ٦ : ٥٥١ ، وابن كثير ٩ : ١٨٢ - ١٨٣ .

(٢٢) وفيات الأعيان ٥ : ٣٢٠ .

(٢٣) المرجع السائق ٥ : ٣٢٠ .

(٢٤) المرجع السائق ٥ : ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٢٥) تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٦ - ٣١٧ .

(٢٦) المرجع السائق ٥ : ٣١٦ .

(٢٧) المرجع السائق ٥ : ٣١٧ ، وصفة الصفوة ١٨٧ : ٤ .

(٢٨) حلية الأولياء ٥ : ١٧٣ ، وتهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٧ .

(٢٩) حلية الأولياء ٥ : ١٧٣ .

(٣٠) وفيات الأعيان ٥ : ٣٢٢ - ٣٢١ .

(٣١) تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٨ .

(٣٢) وفيات الأعيان ٥ : ٣٢٤ ، والطلقات الكبرى لابن سعد ٧ : ٤٥٤ .

(٣٣) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ١١٨ ، والبداية والنهاية ٤ : ٣٠٤ .